

واشنطن قررت التدخل العنفي في شؤون لبنان

بومبيو أن هذا السلاح إيراني يهدد إسرائيل، وعلى هذا فإن سعي الإدارة المحاسبي لتل أبيب دون خجل، يعتبر أمر تلك التسوية أولوية إستراتيجية وليس جهداً دبلوماسياً شكلياً.

يذهب الحريري بعيداً في طمأنة واشنطن حول حماس حكومته للتوصل إلى هذه التسوية. الأمر آثار أسئلة حول ما إذا كان ما أعلنه عن قرب التوصل إلى الاتفاق، وربما في سبتمبر المقبل، مستنداً على ضمانات بأن حزب الله ومن ورائه إيران لن يكونا معرقلين لهكذا اتفاق. على أن تسوية الملف الحدودي اللبناني الإسرائيلي بالنسبة للولايات المتحدة، ترتبط أيضاً بإنعاش مداولات الطاقة في شرق المتوسط، ولواشنطن مصلحة من الاستثمار في هذا القطاع من خلال تبريد الخلاف اللبناني الإسرائيلي الذي يهدد التقييد في حقول البلدين وتلك المشتركة مع قبرص أيضاً. فحل العقدة اللبنانية برعاية واشنطن يفتح سبيل الاستثمار الدولي لنوع أساسية في قطاع الطاقة تجعل من موسكو مشجعة خلف الكواليس لجهود الولايات المتحدة داخل هذا الملف في لبنان.

إذا ما تمكنت واشنطن من إنهاء النزاع الحدودي اللبناني الإسرائيلي، فذلك يعني أن لبنان خرج نهائياً من الخرائط الإيرانية في أي تسوية مقبلة

ويهم واشنطن أن لا ينفجر ملف اللاجئين السوريين. تقود الجهود الدولية لدعم بيروت وتمكينها من ضبط الوجود السوري على نحو لا يفاقم أزمة الهجرة نحو الغرب في الوقت الراهن، وعلى نحو يتسق مع سياسة هذا الغرب حيال التسوية السورية العتيدة. لا تريد واشنطن عودة هؤلاء خارج التوقيت الدولي الذي يشترط تسوية سياسية تنظم مستقبل الحكم في دمشق.

تضع الأعمدة الأساسية الظاهرة لسياسة واشنطن لبنان داخل حلبة الصراع الأمريكي الإيراني. لا تقتض واشنطن عن مواجهة مباشرة كبرى مع إيران، لكنها ستستمر بضغط قوى إيران من خلال تصعيد العقوبات على طهران وإضعاف أثرها الإقليمية.

وستعمل الولايات المتحدة في بيروت على تأكيد حضورها، وربما بشكل ثقيل، على ما وثق به بيان السفارة الأميركية. دان حزب الله البيان واعتبره تدخلاً أميركياً سافراً في شؤون لبنان. غير أن هذا البيان، وما قرره من حماية دولية لوليد جنبلاط، يضاف إلى تأكيد واشنطن على مواصلة دعمها للمؤسسات اللبنانية، واستمرار وساطتها لإنهاء النزاع الحدودي، واحتمال تدرج العقوبات على شخصيات لبنانية غير شيعية حلقة لحزب الله، بما لا يمكن إلا اعتباره إعلاناً رسمياً من قبل الإدارة الأميركية بأن واشنطن قررت فعلاً التدخل السافر في شؤون لبنان.

بات لبنان مصلحة أميركية مباشرة. صار جلياً أن بناء أكبر سفارة أميركية في الشرق الأوسط يرضى لبنان يضع البلد داخل المجال الحيوي الأميركي في المنطقة. باتت الجماهير في الحديث في واشنطن عن وجوب ضبط المعابر وسد المنافذ غير الشرعية على حدود كل لبنان يهدف إلى رفع أسوار حول البلد تقيه خطط إيران في سوريا وتحصيه مما قد تأتي به الخطط الدولية لسوريا (لاسيما وقوعها داخل المجال الروسي).

إذا ما تمكنت واشنطن من إنهاء النزاع الحدودي اللبناني الإسرائيلي، فذلك يعني أن لبنان خرج نهائياً من الخرائط الإيرانية في أي تسوية مقبلة قد تبرمها واشنطن مع طهران. وإذا ما انتهت أزمة الحدود قريباً، كما يقول الحريري، فذلك يعني أن حزب الله موقع على هذه التسوية، مدرك بأن موقع لبنان داخل خرائط الأمن والطاقة الدوليين بات خارج فضاءات إيران في المنطقة.

على هذا، وفي ظل غياب مواقف روسية والصين، فإن قرارات قد تصدر عن واشنطن تستهدف الغطاء اللبناني لحزب إيران في لبنان ما يضع حدوداً بين ما هو لبناني وما هو إيراني في هذا البلد. الحريري نفسه قال إن الأمر يخضع للنقاش في الكونغرس.

محمد قواص
صحافي وكاتب سياسي
لبناني

بيروت - زار وزير الخارجية الأميركي مايك بومبيو لبنان في مارس الماضي. كال وقتها من قلب بيروت بوجه اتهامات لحزب الله واصفا إياه بالإرهاب. خرج عن رئيس مجلس النواب اللبناني، نبيه بري، وعن وزير الخارجية، جبران باسيل، ما ينفي التهمة عن الحزب ويؤكد أنه لبناني وجزء من مشهد البلد السياسي. حينها أيضاً صدر عن قصر بعبدا أن رئيس الجمهورية ميشال عون قال لبومبيو إن حزب الله حزب لبناني ذو قاعدة شعبية تمثل واحدة من الطوائف الرئيسية في البلاد.

رد بومبيو قبل أيام في واشنطن ما قاله في بيروت. كرر نفس الأقوال أمام ضيفه رئيس الحكومة اللبنانية، سعد الحريري، مضيفاً أن لبنان "بلد مهدد من قبل إيران وحزب الله". لم ترد المناير الحليفة للحزب في لبنان، حتى الآن، تاركة لصمت الحريري حبال اتهامات واشنطن أن يعبر وحده عن موقف الدولة اللبنانية. اكتفى الحريري باستنتاج أنه "لا يمكننا تغيير موقف الإدارة الأميركية من العقوبات ضد حزب الله ولكننا نعمل على تجنب لبنان أي تبعات".

تعتبر واشنطن أن إيران تهدد لبنان. تستقبل رئيس حكومته وتبدي اهتماماً بشخص الرجل من بين شخصيات الحكم في بيروت. يستقبل الحريري بومبيو في مزرعته في واشنطن، فيضيف الجانب العالي على السياسي توابل إضافية على علاقة الإدارة الأميركية بزعم تيار المستقبل. في ذلك من يعتبر أن واشنطن قررت، منذ بيان سفارتها في لبنان المثير للجدل، إظهار اهتمام خاص بالملف اللبناني على نحو متطور عن سلوك أميركي فاطر وغير مفهوم في السابق.

تحدثت بيروت أكثر من واشنطن عن عقوبات أميركية قائمة ستطالب شخصيات لبنانية حلقة لحزب الله بعضها من خارج الطائفة الشيعية. ومن بيروت وليس من واشنطن من تبرع في توقع وضع رئيسي الجمهورية ومجلس النواب كما وزير الخارجية على لوائح العقوبات الأميركية. وفي بيروت وليس في واشنطن من قرأ زيارة الحريري للولايات المتحدة بنسخ تهدف إلى المبالغة ربما في استشراف تحول دراماتيكي في سياسة الولايات المتحدة في لبنان.

تخبرنا الأنباء التي تدافعت حول حكاية المصالحة المفاجئة التي نظمها قصر بعبدا بين رئيس الحزب التقدمي، وليد جنبلاط، ورئيس الحزب الديمقراطي، طلال أرسلان، أن حيايتها أعدت داخلياً شارك في صياغتها بري بمباركة كاملة من قبل حزب الله، وأن الدفع بتلك المصالحة لم يكن بحاجة إلى صدور البيان الشهير في يناير 1926 شُهر الدكتور محمد حسين هيكل كتاب "عشرة أيام في السودان" أغضب السودانيون، حتى أن المؤرخ محمد عبد الرحيم رد عليه بكتاب عنوانه "النداء في دفع الاقتراء".

وبعد ثورة أكتوبر 1964، زار رئيس تحرير صحيفة الأهرام محمد حسين هيكل السودان، وكتب مقالا عنوانه "تم ماذا بعد السودان؟"، رأى السودانيون في خضم ثورة شعبية ضد الحكم العسكري "انتقاصاً وتبخيساً لقدرات الشعب السوداني. ومن وقتها قرر هيكل الصيام عن تناول الشان السوداني".

ويضيف أن "المصريين هم الأقرب من السودان جغرافياً، ولكنهم -لأسف- الأبعد في فهم السودانين ثقافياً ونفسياً واجتماعياً"، على العكس مما كتبه وصوره الأجانب من مراجع مهمة، ولم يذكر منها كتاب ونستون تشرشل "حرب النهر" الذي صدرت ترجمته في القاهرة بعنوان "تاريخ الثورة المهدية والاحتلال البريطاني للسودان".

رئيس مركز الدراسات السودانية يؤكد أيضاً أن لدى الشيعيين المصري والسوداني حساسية خاصة تجعل كليهما يحجم عن التدخل في شؤون جاره، "يعني أن الحذر من الجانبين، ومن هنا يأتي سوء الفهم أو عدم الرغبة في الفهم".

ولكن الحذر، واستعلاء البعض من المصريين على فهم الجار السوداني، لا يمنع الواهمين أن يطالبوا ببقاء السودان في وحدة قسرية مع مصر. ويصرون على أن عزل نجيب كان سبباً في "انفصال" السودان، وكان هذا البلد الكبير من الممتلكات المصرية.

تفريط جمال عبدالناصر في السودان خرافة منتهية الصلاحية

إفلاس الإسلاميين يدفعهم إلى نبش التاريخ لإحياء عقدة الوحدة



السودان للسودانيين فقط

فجابهه نجيب بانهم محقون، "فما يقولونه هو الحقيقة"، وأثناء النقاش كان المتظاهرون قد أحاطوا بالقصر. لرافضي حق الشعوب في تقرير مصيرها، أعود إلى ما كتبه محمد نجيب عام 1943 وهو برتبة "مقدم" في سلاح الحدود. تحت عنوان "ماذا يجري في السودان؟"، وقد سجل فيه "جهل الشعب المصري" بالسودانيين الذين يحيطون بأمر مصر، ويتأفدون عليها طوال العام، في حين "يخسر أن يفكر مصري في زيارة السودان أو حتى في قراءة الصحف السودانية لمعرفة أحواله... ياخذون علينا جهلنا بأمر السودان، من لغة ودين ومدنية وجغرافية وتاريخ واجتماع إلى آخره".

لكن العزوفين عن زيارة دولة يريدون ارتهانتها، وإجبارها على وحدة قهريّة مع بلادهم، لكي يتباهى الجالس على العرش في القاهرة بأنه "حاكم مصر والسودان".

وحدة قسرية مع مصر

في تقديمه لكتاب "السودان وأهل السودان" تأليف الكاتب المصري يوسف الشريف، يضرب الدكتور حيدر إبراهيم رئيس مركز الدراسات السودانية مثالين دالين يسميهما "معركتي الهيكلين".

في يناير 1926 شُهر الدكتور محمد حسين هيكل كتاب "عشرة أيام في السودان" أغضب السودانيون، حتى أن المؤرخ محمد عبد الرحيم رد عليه بكتاب عنوانه "النداء في دفع الاقتراء".

وبعد ثورة أكتوبر 1964، زار رئيس تحرير صحيفة الأهرام محمد حسين هيكل السودان، وكتب مقالا عنوانه "تم ماذا بعد السودان؟"، رأى السودانيون في خضم ثورة شعبية ضد الحكم العسكري "انتقاصاً وتبخيساً لقدرات الشعب السوداني. ومن وقتها قرر هيكل الصيام عن تناول الشان السوداني".

ويضيف أن "المصريين هم الأقرب من السودان جغرافياً، ولكنهم -لأسف- الأبعد في فهم السودانين ثقافياً ونفسياً واجتماعياً"، على العكس مما كتبه وصوره الأجانب من مراجع مهمة، ولم يذكر منها كتاب ونستون تشرشل "حرب النهر" الذي صدرت ترجمته في القاهرة بعنوان "تاريخ الثورة المهدية والاحتلال البريطاني للسودان".

رئيس مركز الدراسات السودانية يؤكد أيضاً أن لدى الشيعيين المصري والسوداني حساسية خاصة تجعل كليهما يحجم عن التدخل في شؤون جاره، "يعني أن الحذر من الجانبين، ومن هنا يأتي سوء الفهم أو عدم الرغبة في الفهم".

ولكن الحذر، واستعلاء البعض من المصريين على فهم الجار السوداني، لا يمنع الواهمين أن يطالبوا ببقاء السودان في وحدة قسرية مع مصر. ويصرون على أن عزل نجيب كان سبباً في "انفصال" السودان، وكان هذا البلد الكبير من الممتلكات المصرية.

عليه سلفاً كير في وقت لاحق الوحدة الجاذبة.

فكيف يصدر البعض الصفة الرمزية لفاروق الأول "ملك مصر والسودان"، وهو العاجز عن حكم قصر عابدين؟ ففي 4 فبراير 1942 حاصرت القوات البريطانية قصر عابدين، وكاد "ملك مصر والسودان" يفقد عرشه، لولا رضوخه لأمر السفير البريطاني مايلز لامبسون بأن يشكّل مصطفى النحاس الوزارة، لكي تضمن بريطانيا خلال الحرب العظمى أن تكون للحكومة قاعدة شعبية بوجود النحاس الذي أنقذ عرش "ملك مصر والسودان". فما علاقة فاروق والمصريين عموماً بالسودان، لكي يتباكى الواهمون بتفريط مصر في السودان وتسهيل انفصاله عن مصر؟ المعادلة هنا استعلائية تستنسخ مفهوم الإحتلال، مع فقدان القدرة على تنفيذه ودفع تكاليفه، في ظل الإحتلال البريطاني لمصر، وللسودان بالطبع.

يتهمون عبدالناصر بالتفريط في السودان زاعمين أن شعبيه رغب عن الوحدة مع مصر، رداً على عزل مجلس قيادة الثورة في مصر للرئيس المعين محمد نجيب، وكان نجيب قد ولد ونشأ في السودان، وعاد إليه ضابطاً شاباً بالكتيبة 17 مشاة بالخرطوم عام 1921.

وهذا الافتراض يسيء إلى نكاه الشعب السوداني، ويهين خياره في الاستقلال بهوى لا تقرر الأوطان مصائرهما به، أو بصراع في مصر على الحكم لا علاقة للسودانيين به. وينسف هذا الادعاء قول محمد نجيب، في كتابه "كنت رئيساً لمصر"، إنه سافر إلى السودان في 1 مارس 1954 للمرة الأولى بعد الثورة، للمشاركة في احتفالات السودان بافتتاح أول برلمان هناك، وتوقيع الحفاوة من السودانيين الذين لم يزر بلادهم منذ ثلاثين عاماً، وخفق قلبه قبل هبوط الطائرة، ولكنه فوجئ باحتشاد الآلاف في مطار الخرطوم يتظاهرون ويهتفون في وجهه "لا مصري ولا بريطاني... السودان للسوداني"، وسقط الكاب، فاتوا به إلى نجيب الذي لم يعتبر الهتاف "معادياً، أو مثيراً، فقد كان هذا ما نريده فعلاً.. السودان السوداني.. لا مصري ولا بريطاني.. وحاول الحاكم العام البريطاني إقناع نجيب بأنها "مظاهرات خطيرة"، وهتافات معادية "ضد بلدينا"،



الحذر، واستعلاء البعض من المصريين على فهم الجار السوداني، لا يمنع الواهمين أن يطالبوا ببقاء السودان في وحدة قسرية مع مصر. ويصرون على أن عزل نجيب كان سبباً في «انفصال» السودان، وكان هذا البلد الكبير من الممتلكات المصرية



جمال عبدالناصر وجعفر النميري

مع تدشين السودان مرحلة سياسة جديدة غداة توقيع اتفاق تاريخي بين المجلس العسكري والحركة الاحتجاجية، بهدف بدء مرحلة انتقالية مدتها ثلاث سنوات تنقل البلاد إلى حكم مدني، يعود البعض إلى ذاكرة البلد خاصة في ما يخص علاقته التاريخية بالجار مصر. وهناك من يلوم أو يتهم جمال عبدالناصر خاصة من التيار الإسلامي، بتسهيله عملية انفصال السودان عن مصر في عام 1956، في بكائيات ساذجة تسيء أساساً لمبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها، كما تسيء للعلاقات القوية بين الشعبين، التي ظلت متماسكة دون إجبار الشعوب على وحدة قسرية.

سعد القرش
روائي مصري

تكتشف العورات الفكرية لمذعي مناصرة الشعوب في تقرير مصيرها كلما ذكر السودان، فيصويون السهام إلى صدر جمال عبدالناصر، جزاء وفاقا على خرافة تفريط في السودان، ومنحه الاستقلال عن مصر. ويشترك في هذا الادعاء المتهافت مراقبون من محدثي الوعي السياسي لا يعرفون عن السودان إلا أن عاصمته الخرطوم، وإسلاميون طيبون منهم قائل متقاعد أحبه وأصدق حُسن توبته، هو ناجح إبراهيم الذي كتب في صحيفة المصري اليوم، في 2 أغسطس 2019، مقالا عنوانه "ثورة 23 يوليو ماذا لو لم تحدث؟"، مستعرضاً بكائيات ساذجة، مفترضاً أن الثورة لو لم تقع لصار الوضع الاقتصادي لمصر "أفضل مما نحن فيه"، وأن "الثوار استلموا مملكة تضم مصر والسودان، ومات عنها ناصر دون السودان وسيناء".

لم يرتفع صوت الإسلاميين في قضية استقلال جنوب السودان، لأنها تزامنت مع الهوس بما سني تطبيق الشريعة الإسلامية، منذ 1983، على يد الرئيس السابق جعفر النميري الذي أشعل نيران الحرب الأهلية، وخلع عام 1985. وجرى الاستفتاء على استقلال الجنوب تحت حكم العقيد عمر البشير، وقد حصّنه رفع راية الشريعة من قيام مظاهرات في عموم السودان لرفض الاستقلال الذي تم عام 2011.

اتهم عبدالناصر

لا تصح مقارنة مصر والسودان من جهة، باليمن الشمالي والجنوبي، أو بالسودان كوحدة جغرافية قبل استقلال الجنوب. في كتاب الراحل كبير "جون قرنق.. رؤيته للسودان الجديد" (2005) ذكر قرنق زعيم الحركة الشعبية لتحرير السودان أن عجائب الدنيا ليست سبعا، ففي السودان عجيبة ثامنة، "رجل معنوه اسمه حسن الترابي" يرى العالم على هواه، وتساءل قرنق "هل يمكن لأي مسلم أن يكون فخورا بشريعة نميري؟".

وقال إن السودان همش جنوبيه منذ الاستقلال عام 1956، وإن قرنق والجنوبيين يفتقدون "هذه الأمة -الدولة" في السودان، وإن "مهمتنا، وواجبنا، أن نخلق سودانا ننتسب له كلنا، رابطة اجتماعية سياسية ننتمي إليها جميعاً وندين لها بالولاء الكامل بغض النظر عن العرق أو الدين أو القبيلة: وهو ما سيطلق